



دلالة التركيب اللغوي لآيات القتال
الذكر والحذف نموذجًا

The Significance of Linguistic Structure of the Combat Verses: Mention
and Omission as a Case in Point

Ali Ahmed Al-Mounqi

Researcher - Department of Arabic Language
Faculty Of Arts & Humanities - Sana'a University - Yemen

علي أحمد المعنقي

باحث - قسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء - اليمن

الملخص:

من ظواهر التركيب في اللغة العربية ظاهرة الذكر الحذف، لمفردات أو جُمل أو شبه جُمل، وهي ظاهرة تناولها النحاة والبلاغيون بشيء من التفصيل.

وفي هذا البحث حاولت أن آتي على مواقع الذكر في آيات القتال التي وإزائها حذف، سواء في آيات القتال أو آيات أخرى؛ عبر المنهج الوصفي المعتمد على الاستقراء والتحليل؛ لمعرفة الدلالة الكامنة وراء هذا الذكر أو ذلك الحذف؛ بناء على أن الظهور في شكلين مختلفين يعني وجوداً دلاليّاً مختلفاً. وتجلت الدلالات التركيبية في آيات القتال من خلال المحاور التي تضمنها البحث، في المعاني النحوية التالية:

الأول: ذكر المؤكّد وحذفه. الثاني: ذكر الفاعل وحذفه. الثالث: ذكر المفعول وحذفه. الرابع: ذكر الموصوف وحذفه. الخامس: ذكر الصفة وحذفها. السادس: الزيادة في اللفظ نتيجة الاختلاف في الموضوع أو السياق. السابع: اختلاف التركيب ذكراً وحذفاً. الثامن: ذكر الإشارة وحذفها. التاسع: ذكر المتعلق وحذفه.

وختمتُ البحث بأهم النتائج المستخلصة من دلالات هذا التركيب اللغوي الذي امتازت به لغتنا العربية. **الكلمات المفتاحية:** آيات القتال، القرآن . الجهاد.

Abstract:

One of the phenomena of structure in the Arabic language is the phenomenon of " Mention and deletion", for vocabulary, sentences or semi-sentences, it is phenomenon that grammarians and rhetoricians have dealt with in some detail.

In this research, I tried to come to the sites of remembrance in the verses of the fight that were paralleled by deletion, whether in the verses of the fight or other verses, through the descriptive approach based on induction and analysis, To know the hidden meaning behind this mention or deletion, based on the fact that the appearance in two different forms means the existence of a different semantic.

The structural semantics in the fighting verses were manifested through the axes included in the research, in the following grammatical meanings:

The first: mention the certain and delete it. Second: mention the subject and delete it. Third: Mention and delete the effect Fourth: Mention and delete the described. Fifth: Mention and delete the adjective. Sixth: The increase in word as a result of the difference in the subject or context. Seventh: The difference in the composition mentioned and omitted Eighth: Mention and delete the reference.

Ninth: Mention and delete the "aljar and almajror"

The research concluded with the most important results drawn from the semantics of this linguistic structure that characterized our Arabic language.

Keywords: verses of Fighting, Qur'an, jihad.

المقدمة:

هو ما اقتضته الصناعة، كخبر بدون مبتدأ أو بالعكس. وأما مثل تقدير البرد في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: 81] وأمثال ذلك؛ فيرى أن ذلك فضول في فن النحو، وهو خاص بالمفسر.

من ظواهر التركيب في اللغة العربية ظاهرة الذكر والحذف، وبالرغم من أهمية الحديث عن هذه الظاهرة، إلا أن ابن هشام لا يرى الاهتمام بدلالة ذلك عملاً نحويّاً، لأن الحذف لديه الذي يلزم النحوي النظر فيه

وإزائها حذف، سواء في آيات القتال أو آيات أخرى. ومن المهم الإشارة إلى أن آيات القتال قد بحثت لدى كثير من الباحثين فقهاء، وبلاغيا، وهذه هي الدراسة الأولى التي تدرسها من بوابة علم النحو.

منهج البحث:

اعتمدت أبحاث الموضوع على المنهج الوصفي المعتمد على الاستقراء والتحليل

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

1- معرفة الدلالة الكامنة وراء الذكر أو الحذف في آيات القتال. بناء على أن الظهور في شكلين مختلفين يعني وجودًا دلاليًا مختلفًا.

2- تسليط الضوء على الشكل الذي ظهرت به آيات القتال والجهاد، وأثر ذلك الشكل التركيبي على البيان، وتوضيح الدلالة.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في الآتي:

1- المساهمة في إدراك معاني آيات الجهاد والقتال.
2- كون آيات الجهاد والقتال تمثل نظامًا حكيماً، ودقيقاً تجلى في سبك وحبك آيات قوانينه، وأنه لا يمت إلى الإرهاب بصلة، كما يروج له بعض قادة ومتقفي الغرب.

هيكل البحث:

وتجلت الدلالات التركيبية في آيات القتال من خلال

المباحث التالية التي شكلت هيكل البحث:

المبحث الأول: ذكر المؤكّد وحذفه

المبحث الثاني: ذكر الفاعل وحذفه

المبحث الثالث: ذكر المفعول وحذفه

المبحث الرابع: ذكر الموصوف وحذفه

ولعل السبب في هذه الرؤية هو التجريد الذي نهجه بعض النحويين لتأكيد القاعدة النحوية، وجعله علم آلة، يحرث بها العاملون النصوص لاستخلاص الدلالة. غير أن كثيرا من النحاة لا يبعدون النحو عن الحقول الدلالية التي تُعربُ عن المعنى، ولعل من أدلّ القضايا على ارتباط النحو بالدلالة هو «الإعراب»، والإعراب من أعمدة المصطلحات النحوية، وأهم ما يعنيه هذا المصطلح هو: بيان المعنى الناتج من ارتباط اللفظ بألفاظ أخرى داخل محيط الجملة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى مما يجب أن يلاحظ في دراسة هذه الظاهرة هي الظاهرة المرادفة لها، وهي الذِّكْر، وإذا كان الذكر هو الحالة الطبيعية للجملة، فإن غيابها عن البنية السطحية لها لا بد له من سبب، ويمكن ملاحظة ذلك الغياب من جانبين:

الأول: وجود قرينة عقلية أو لفظية تستدعي موجودًا غير ما يظهر في بنية الجملة السطحية. مثل: زيدًا، في جواب: من أكرمت؟

الآخر: وجود جملتين متشابهتين في بنية النص تختلفان عن بعضهما ذكرًا وحذفًا، حينها يمكن إقامة مقارنة بينهما للوصول إلى الدلالة الناتجة من ذاك الذكر، أو ذلك الحذف. غير أن التأويلات البعيدة والتقديرية المعقّدة، والتمحلّ في إيجاد كوامن لفظية خلف أودية الألفاظ الظاهرة في الجملة؛ مما يجب أن نبتعد عنه؛ لننقذ الجملة من الترهل التي تسببها تلك التقديرات. وقبل البدء أحب أن أشير إلى أن في الذكر زيادة، وهذه الزيادة إنما تأتي لزيادة في المعنى، اعتماد على حكمة المرسل؛ ولذلك يجب أن نلاحظ هذه القاعدة عند تعاملنا مع الذكر والحذف، حيث لا يُذكر لفظ إلا لعله؛ لتتزيه الحكيم عن اللغو. وفي هذا البحث حاولت أن آتي على مواقع الذكر في آيات القتال التي

القتال: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، كما تحدث فيها عن الذين آمنوا ولم يهاجروا، وطبيعة العلاقة معهم، ففيها زيادة ذكر، في حين لم يفصل في الأخيرتين، فناسب التأكيد هناك بخلافهما.

كما أنها جاءت فكرتها مقارنة مع الآية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73] ونلاحظ أن التهديد في ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ يدل على أن الموضوع ليس خبراً، وإنما هو أمر في صورة خبر، والتأكيد مناسب لفكرة الأمر، تعبيراً بهذا الأسلوب؛ كأن الأمر قد وقع بشكل مؤكد، في حين الآية (74) إخبار عن الإيمان، وقد وكد الإيمان؛ لأنه محور القضية، والآية (75) حديث عن المهاجرين فقط؛ فليست بعموم الآية (73) التي تحدثت عن المهاجرين والأنصار، والذين آمنوا ولم يهاجروا.

ب. وورد في سورة محمد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 1]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِبُّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 32]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد: 34].

تلاحظ أن في آية (32) و(34) زيادة «إن»، وهي لا توجد في الآية (1)، وهي في (32) ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾، وفي (34) ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، فناسب في هاتين الآيتين الزيادة مناسبة للزيادة في الفكرة. ومن ناحية أخرى، الآية الأولى تشكل عتبة السورة؛ فالسورة تبدأ ببيان حقيقة الذين

المبحث الخامس: ذكر الصفة وحذفها

المبحث السادس: الزيادة في اللفظ نتيجة الاختلاف في الموضوع أو السياق

المبحث السابع: اختلاف التركيب ذكراً وحذفاً

المبحث الثامن: ذكر الإشارة وحذفها

المبحث التاسع: ذكر المتعلق وحذفه

ثم خاتمة استعرضت فيها أهم نتائج الذكر والحذف.

وهذا البحث يجيب عن السؤال التالي:

كيف ظهرت آيات القتال والجهاد بالنسبة للذكر والحذف؟ وما الدلالة التي أوحى بها هذان التركيبان؟

المبحث الأول: ذكر المؤكّد وحذفه

1. الاختلاف في (إِنَّ):

أ. ورد في سورة الأنفال قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 72]، مؤكداً بـ«إن». وورد في آية الأخرى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74]، وورد بعدها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 75].

تم تأكيد الآية الأولى بـ«إن»، بينما خلت الآية الثانية والثالثة منه، والعلة في ذلك -والله أعلم- مناسبة السياق، والبنية التركيبية للآية؛ فالآية الأولى أكثر مدخلات من الآيتين الأخيرتين لها؛ ففيها فصل

على قدرته في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 29]، وهو ما لا نجده في الحج؛ إذ اقتصر على بيان قدرة الله على إيلاج الليل في النهار والعكس، وكونه سميعاً بصيراً، في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 61]، ولأجل الصراع في سورة الحج يقول فاضل السامرائي: "آية الحج واقعة في سياق الصراع مع أهل الباطل، ومجاهدتهم أشق أنواع الجهاد... ولا تجد مثل هذا في سورة لقمان... فاحتاج الأمر إلى زيادة تثبيت المؤمنين"⁽²⁾.

أما أبو جعفر الغرناطي فيرى أن ذكر ضمير الفصل هنا؛ بناء على الإفصاح عن معتقدات المشركين، وبطلانها في السورة، حيث يقول: "اعلم أن سورة الحج ورد فيها ما يستدعي هذا التأكيد بالضمير المنفصل ويناسبه، وهو تكرر الإشارة إلى آلهتهم والإفصاح بذكرهم؛ تعريفاً بوهن مرتكبهم وشنيع حالهم، وأوضح هذا المتكرر، وأشده ملاءمة الإتيان بهذا الضمير المعد فصلاً، أو مبتدأ، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31]، وقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: 73]، فهذه الآية والتي ذكرنا قبلها أنسب

كفروا وحقيقية الذين آمنوا"⁽¹⁾، فكان التعبير بخبر طبيعي عن طبيعة نتائج سلوك كل منهما، لكن آية (32،34) جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [الأنفال: 31]، وهو في الآية الأولى يؤكد عدم نجاحهم في الدنيا، وفي الأخرى يؤكد عدم نجاحهم في الآخرة، والسياق يناسبه التأكيد حثاً للمؤمنين على جهاد هؤلاء المعتدين؛ بصددهم عن سبيل الله ومشاققتهم للرسول بعد بيان الحق، وفي قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ دليل على أن ما يقومون به من صد ومشاقة مبني على المكابرة والعناد، لا على الجهل؛ لأن الهدى قد تبين.

2. الاختلاف في ضمير الفصل:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: 62]. وقال في لقمان: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: 30].

تجد التشابه بين الآيتين إلا في وجود ضمير الفصل «هو» في: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾. والملاحظ أن سياق الآيتين يختلف؛ فأية الحج في سياق الحديث عن القتال، بخلاف آية سورة لقمان التي هي في سياق بيان قدرة الله تعالى، ولما كان القتال نتيجة لما يوحيه ذلك الباطل، كان التركيز على بطلانه أكثر، بالإضافة إلى التركيز على أحقية الله تعالى. أما في لقمان فقد تم التركيز على أحقية الله تعالى؛ لأن السياق لبيان قدرته تعالى. ويزيد ذلك وضوحاً أن الآية السابقة لآية لقمان زاد فيها تعداد نعم الله الدالة

² - التعبير القرآني - فاضل صالح السامرائي - ص 143
144 2 - ط 4/1427 هـ / 2006 م - دار عمار - عمان - الأردن.

¹ - في ظلال القرآن - سيد قطب - (3278/6) - ط 32/
1423 هـ / 2003 م - دار الشروق - القاهرة.

شيء لقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾⁽³⁾.

وبالإضافة لما ذكر يجد المطلع على سورة الحج أنها اعتمدت كثيرًا على الضمير «هو» كمؤكّد في أكثر من أحد عشر موقعًا، بينما لم يرد في سورة لقمان سوى سبع مرات مؤكّداً وغير مؤكّد.

3. الاختلاف في اللام:

أ. قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141)﴾ [آل عمران]. في هذه الآية تجد أفعالاً اقترنت بـ«اللام»، وأخرى لم تقترن كالتالي:

﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ و﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ اقترنا بـ«اللام»، بينما ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ و﴿وَيَمْحَقَ﴾ لم يقترنا بـ«اللام». اللام هذه هي لام التعليل الناصبة للفعل المضارع، والملاحظ أن الأفعال التي تقدمها «اللام» ظهر فاعلها «الله»، بينما الأفعال التي لم تقترن بـ«اللام» كان فاعلها ضميراً يعود على الله تعالى، وفي هذا الذكر زيادة تأكيد على دلالة الفعل؛ إذ الفعل «يعلم» عام يشمل كل المؤمنين، بخلاف «يتخذ» فهو فعل واقع على البعض بدليل حرف التبعية «مِنْكُمْ»؛ فناسب في الأول الزيادة (اللام + ذكر الفاعل). وهذا ما تجده أيضاً في «يُمَحِّصَ» ففيها من العموم ما أهلها لدخول اللام عليها، وظهور فاعلها أيضاً؛ فالتمحيص يشمل كل المؤمنين لتطهيرهم، ولتربيتهم النفسية، بخلاف

«يُمَحِّقَ» فهو لم يشمل كل الكافرين بدليل وجودهم⁽⁴⁾. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى تجد أن مفعول «ليعلم» امتد عبر الصلة والموصول، وهو ما حدث لـ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، بينما انكمش المفعول في «يتخذ»، يُمَحِّقَ» ليكون اسماً في الأولى ﴿شُهَدَاءَ﴾، وفي الثانية اسم الفاعل ﴿الْكَافِرِينَ﴾، وهذا مناسب لذكر اللام وحذفها في الأفعال المذكورة، فمع الذكر كانت الجملة أكبر، ومع الحذف كانت الجملة أصغر. ب. وقال تعالى: ﴿وَلِيُنصِّرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:40)

وفي سورة الحديد: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:25].

في سورة الحج أكد باللام في ﴿لَقَوِيٌّ﴾ ولم يؤكد بذلك في سورة الحديد، ولعل السبب في ذلك هو اختلاف الفكرة؛ ففي الحج بيان لنصرة الله للمؤمنين، وفي الحديد بيان لنصرة المؤمنين لله، والنصر للمؤمنين من الله آكد، ونصر الله من المؤمنين محتمل. قال السامرائي: «الأولى في نصره هو لجنوده المستضعفين فأكد قوته، والثانية في نصر المؤمنين لدعوته»⁽⁵⁾.

4. الاختلاف في هاء التنبيه:

ورد في آيات القتال ذكر لهاء التنبيه وحذف لها ومن ذلك:

³ - ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل في توجيه

المتشابه للفظ من أي التنزيل - أبو جعفر أحمد بن إبراهيم

الغرناطي - تحقيق: سعيد الفلاح - (362/2) -

ط1403/1هـ/1983م - دار الغرب الإسلامي - بيروت .

⁴ - وقد أشار إلى بعض ما ذكر د: فاضل السامرائي في

محاضرة بعنوان (أسرار البيان في التعبير القرآني) ألقاها

ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام 2002

م، لم أجد لها مرجعاً.

⁵ - التعبير القرآني مرجع سابق - ص 172.

بدايةً: تركيب «ها أنتم هؤلاء» أو «أولاء» تركيب يوحي بأن المراد هو الإفصاح عن وجود ذواتهم في هذا الحيز، لا الإخبار عنهم بهم؛ لأنه لا قيمة من ذلك، وهذا يعود إلى الخلاف بين قولك: «هاأنتم هؤلاء» وبين: «هؤلاء أنتم»؛ فالتركيب الأول إخبار عن وجود الذات، والثاني إخبار عن الذات. قال السيرافي: «إنما يقول القائل: «هاأنا ذا» إذا طلب رجل لم يدر أحاضر هو أم غائب؛ فقال المطلوب «هاأنا ذا»، أي الحاضر عندك أنا. وإنما يقع جواباً لقول القائل: أين من يقوم بالأمر؟ [لاحظ الوجود في الظرف أين] فيقول له الآخر: أنا ذا، أو ها أنت ذا، أي أنا في الموضع الذي التمتست فيه من التمتست، أو أنت في ذلك الموضع، ولو ابتدأ الإنسان على غير هذا الوجه فقال: هذا أنت، وهذا أنا، يريد أن يعرف عن نفسه، كان محالاً؛ لأنه إذا أشار له إلى نفسه، فالإخبار عنه ثابت لا فائدة فيه؛ لأنك إنما تعلمه أنه ليس غيره، ولو قلت: ما زيد غير زيد؛ كان لغواً لا فائدة فيه⁽⁶⁾. "وهذا استعمال عربي يختص غالباً بمقام التعجب من حال المخاطب"⁽⁷⁾.

وعلى أساس مما ذكر يمكن القول: إن الإشارة في الآيات السابقة تدل على أن المشار إليهم أصبحوا قوماً غير القوم المعهودين، أو المتوقع منهم وجود غير الوجود الذي هم فيه حال الخطاب، تنزيلاً للصفة منزلة الذات، كما يقول الزمخشري حيث قال: عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة:85]: "والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقربين، تنزيلاً لتغير الصفة

1. قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخَذْلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:160]

في الآية ﴿ذا﴾ اسم إشارة خبر لـ ﴿مَنْ﴾ الجملة جواب للشرط. واسم الإشارة ﴿ذا﴾ غير مقترن بالهاء، بينما اقترن في آية سورة الملك، في قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك:20]، والملاحظ أن آية الملك أكثر تركيزاً وتحدياً، من آية آل عمران، فأية آل عمران وردت إخباراً عبر استفهام في حيز الشرط الذي يدعو إلى عمق التأمل، وهو بخلاف آية الملك التي هي في مقام التحدي، والإنشاء فيها للتعجيز والتبكيث. وزاد التنزيل بـ ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ذلك التبكيث والتعجيز تأكيداً.

2. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:66].

وقال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عِلْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:119]. وقال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ [النساء:109]. وقال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:38].

⁶ - شرح كتاب سبويه - أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن

المرزبان السيرافي (368هـ) - تحقيق: أحمد حسن مهدي
وعلي سيد علي - (110/3) - ط1429/1هـ/2008م - دار
الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

⁷ - التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
(586/1). 1997 م - دار سحنون للنشر والتوزيع -
تونس.

النص، كالأمر المفهوم من آية سورة (محمد:38)،
و(النساء:109)، أو النهي المفهوم من آيتي (آل
عمران:66 و119).

6. الاختلاف في (مِنْ):

يقول سيبويه: "وقد تدخل [يقصد «مِنْ»] في موضع
لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً، ولكنها تؤكد
بمنزلة ما، إلا أنها تجر؛ لأنها حرف إضافة، وذلك
قولك: ما أتاني من رجلٍ.... ولو أخرجت (مِنْ) كان
الكلام حسناً، ولكنه أكد ب(مِنْ)؛ لأن هذا موضع
تبعيض، فأراد أنه لم يأت به بعض الرجال والناس"⁽¹⁰⁾.

والظاهر من كلام سيبويه أن «مِنْ» تزداد تأكيداً
للبعضية، ولا داعي للقول إن سيبويه أراد الاستقامة
النحوية لا البلاغية أو المعنوية كما ترى الدكتورة
هيفاء عثمان؛ إذ تقول: "وكان الشيخ -رحمه الله-
[تقصد سيبويه] نص على فكرتين في وقت واحد: هما
صحة العبارة من حيث الاستقامة النحوية لا من حيث
الدلالة البلاغية، وأن «مِنْ» لم يعد معناها التوكيد
فبستغنى عنها، وإنما أصبحت اقتضاء مقام، وبمثل
هذا يضعف القول بزيادتها"⁽¹¹⁾.

وهذا خلاف نص سيبويه لأنه يقول: "ولكنه أكد
ب«مِنْ»، غير أن ما تريد أن ترمي إليه صحيحاً، وهو
كون ذكر «مِنْ» يعطي للجملة معنى جديداً؛ ولذلك
نفى المبرد زيادتها بقوله: "وأما قولهم: إنها تكون زائدة،
فلمست أرى هذا كما قالوا؛ وذلك أن كل كلمة إذا وقعت
وقع معها معنى؛ فإنما حدثت لذلك المعنى وليست

منزلة تغير الذات، كما تقول: رجعت بغير الوجه الذي
خرجت به"⁽⁸⁾. والأمر في آية (البقرة:85) يتفق مع
آية (آل عمران:66)، لكنه يختلف عنه في الآيات
الأخرى السابقة؛ لأن التنبيه في آية البقرة لم يرد إلا
في الإشارة بعد الضمير المنفصل، فهو هنا يقرر ذاتاً
ووجوداً، مع التنبيه، وفي آية (آل عمران:119)،
و(النساء:109)، و(محمد:38)، تجد التنبيه على
قضية مكروهة للتخلص منها؛ ففي تلك الآيات معنى
الأمر كما في آية سورة (محمد:38)، أو النهي كما
في آية (آل عمران:119).

وزيادة الهاء قبل الضمير المنفصل فيه زيادة تأكيد
على ذلك الوجود المُستغرب في الآيات السابقة فتجد
ذكراً للهاء إلا في آية (آل عمران:119)، والداعي إلى
ذكر الهاء ما يمكن ملاحظته من الشدة الموجودة في
الآيات التي ذُكرت فيها الهاء، ففي آية (آل
عمران:66) الخطاب لأهل الكتاب، وفيه شدة عليهم،
وفي آية النساء جاءت بعد النهي عن المجادلة عنهم
بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ
يَخْتَانُونَ﴾ [النساء:107]، وفي آية سورة محمد تجد
السياق يوحي بوجود من يخالف الأمر، والدعوة
للإنفاق في قوله: ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾، فناسب هنا
زيادة التنبيه حثاً على الالتزام بالأمر⁽⁹⁾.

وعليه (هاء) التنبيه تذكر أو تحذف؛ لاقتضاء السياق
لذلك الحذف أو الذكر؛ زيادة في التنبيه، أو مناسبة
للسياق، وقد ساعد وجودها في الآيات السابقة على
الدلالة على الأمر أو النهي الكامن خلف منطوق

⁹ - انظر معاني النحو - د. فاضل صالح السامرائي - (87/1) -

(92) - ط2/ 1423 هـ - 2003 م - العاتك لصناعة الكتاب -
القاهرة.

¹⁰ - الكتاب مرجع سابق (225/4).

¹¹ - زيادة الحروف بين التأييد والمنع - هيفاء عثمان - ص

611 - ط1/ 2000/ دار القاهرة - مصر.

⁸ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

التأويل - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري

الخوارزمي - تحقيق: عبد الرزاق المهدي - (187/1) -

ط2003/1 م - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

متقدمة⁽¹⁶⁾. وقد رجح صاحب الدر المصون كون الاستفهام على حقيقته بقوله: "وهل هذا الاستفهام على حقيقته؟ فيه وجهان أظهرهما: نعم، ويعنون بالأمر: النصر والغلبة"⁽¹⁷⁾.

لكن القرطبي في تفسيره يرى أن الاستفهام معناه الجحد يقول: "لفظه استفهام ومعناه الجحد، أي: «ما لنا شيء من الأمر»، أي من أمر الخروج، وإنما خرجنا كرهًا؛ يدل عليه قوله تعالى إخبارًا عنه: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾"⁽¹⁸⁾. وهو الظاهر؛ لأن الآية وردت بعد الموقعة بدليل: ﴿مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾، وسؤالهم عن رأي لهم في الموقعة بعد حدوثها لا قيمة له، وإنما هو تطاول منهم على المؤمنين نتيجة عدم الاستماع إلى مشورة ابن أبي الجولوس في المدينة بدلاً من الخروج إلى أحد، فكانهم يرمون بالسبب فيما حدث على النبي، والمؤمنين، فكان الرد: ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ فقد كان ذلك مأذونا به لعله ذكرتها الآيات التالية، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا... ﴿[آل عمران: 167]

والظاهر أن «من» هنا قد إفادت التوكيد والاستغراق. ب. ولاحظ تأكيدها لنفي مطلق الولاية في قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا...﴾ [الأنفال: 72]، فنذكر «من»

بزائدة⁽¹²⁾، وإن كان قد عاد إلى القول بزيادتها في قوله: "وأما الزائدة التي دخولها في الكلام كسقوطها فقولك: ما جاءني من أحد، وما كلمت من أحد. وكقول الله عز وجل: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 105]"⁽¹³⁾. وظاهر كلامه متناقض، غير أنه يشترط في الزيادة أن تكون في حيز النفي يقول: "وإنما تزداد في النفي، ولا تقع في الإيجاب زائدة"⁽¹⁴⁾.

والمعلوم أن النفي يحمل ضمن دلالاته الإطلاق والعموم ما لم يقيد، و«من» تدل في التركيب على عموم الجنس، فدخولها على النكرة الواقعة في حيز النفي والتي هي عامة بتركيبها، لا يزيدها عمومًا بل يؤكد عمومها. "وعلى كلِّ فإن الذين يقولون بزيادتها، والذين لا يقولون بها متفقون على أنها تفيد معنى الاستغراق والتوكيد، فإن معنى الزيادة عندهم دخولها على مجرور يطلبه العامل بدونها"⁽¹⁵⁾. وورد ذكر «من» في آيات القتال ومن ذلك زيادتها قبل لفظ ﴿شَيْءٍ﴾ في قوله تعالى:

أ. ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 154]. تلاحظ زيادة ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ و﴿شَيْءٍ﴾ مبتدأ و﴿مِنْ﴾ زائدة والخبر ﴿لَنَا﴾، وقوله ﴿مِنْ الْأَمْرِ﴾ حال

12 - المقتضب - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (285هـ) -

(183/1) - تحقيق: محمد عبد الخالق عضية -

ط1415/2-1994م - وزارة الأوقاف - لجنة إحياء التراث - القاهرة.

13 - زيادة الحروف بين التأييد والمنع (137/4)

14 - المقتضب مرجع سابق (420/4)

15 - معاني النحو مرجع سابق (71/3)

16 - انظر المصون في علوم الكتاب المكنون - أبو العباس،

شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي - (449/3) - المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط - دار القلم - دمشق.

17 - الدر المصون مرجع سابق (449/3) ..

18 - تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله شمس

الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي - المحقق: هشام سمير البخاري - (242/4) - 1423هـ/2003م - دار عالم الكتب - الرياض - المملكة العربية السعودية.

عاشور: "بذلك ينتفي الضرّ كلّهُ؛ لأنّه أثبت في أول الآيات أنّهم لا يضرّون المؤمنين إلاّ أذى، فالأذى ضرّ خفيف، فلما انتفى الضرّ الأعظم الذي يحتاج في دفعه إلى شديد مقاومة من القتال، وحراسة، وإنفاق؛ كان انتفاء ما بقي من الضرّ هيناً، وذلك بالصبر على الأذى"⁽²⁰⁾.

7. الاختلاف في (كُلّ)

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 39].

ورد في أسرار القرآن: "قوله ﴿ويكون الدين لله﴾... وفي الأنفال ﴿ويكون الدين كله لله﴾ لأن القتال في هذه السورة مع أهل مكة، وفي الأنفال مع جميع الكفار؛ فقيده بقوله ﴿كله﴾"⁽²¹⁾. وهو ما يراه الخطيب الإسكافي؛ يقول عن آية البقرة: "وهذا مختص بقتال قوم مخصوصين من أهل الشرك؛ وهم نازلوا الحرم... وأما في سورة الأنفال فالأمر ورد عاماً"⁽²²⁾.

المبحث الثاني: ذكر الفاعل وحذفه

1. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 216]، وقال: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ [النساء: 77]. وقال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ [الحشر: 3].

هنا يدل على العدمية المطلقة للولاية للذين آمنوا ولم يهاجروا.

ج. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظْلُمُونَ﴾ [الأنفال: 60]. لكن لا نجد ذكر «من» في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120]، قبل ﴿شَيْئاً﴾. وليس المانع من ذلك كون ﴿شَيْئاً﴾ مفعولاً مطلقاً فلا يصح أن تدخل «من» الزائدة عليه، ورد في المغني: "ولكن لا يظهر للمنع [أي منع «من»] في المفعول المطلق وجه، وقد خرج عليه أبو البقاء: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 39]، فقال: من زائدة، وشيء في موضع المصدر، أي تفریطاً مثل: ﴿لا يضرركم كيدهم شيئاً﴾، والمعنى تفریطاً"⁽¹⁹⁾.

ومن أسباب ذلك أن المراد هنا نفي ماهية الضر، لا نفي أجناسه كالأذى وغيره؛ ذلك لأن «من» الداخلة لمعنى الاستعراق، تنفي أو تثبت الاستعراق عبر التعدد الابتدائي الذي يُشعر به معناها إلى غاية ذلك الشيء ونهايته، فهي لا ابتداء الغاية، فقولك مثلاً: ليس في البيت من رجل، يبتدأ النفي برجل، ثم يستمر إلى الغاية أو النهاية، أما قولك: لا رجل في البيت، فأنت تنفي الماهية دفعة واحدة لا بشكل متعدد. فقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ يُشعر بتعدد أجناس المنفق، بخلاف نفي الضر، خاصة وقد سبق قوله: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى﴾، وهنا نفي كليّة الضر، قال ابن

19 - مغني اللبيب عن كتب الأعراب - عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري - تحقيق: د. عبداللطيف محمد الخطيب (168/4 و169) - السلسلة التراثية (21) - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.
20 - التحرير والتنوير مرجع سابق (68/4).
21 - أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيهه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان - أبو القاسم برهان

الدين محمود بن حمزة الكرمانى - تحقيق: عبد القادر أحمد عطا - 1977 - ص84 - م - دار الفضيلة - القاهرة - مصر - بدون ذكر رقم الطبعة.
22 - درة التنزيل وغرة التأويل - أبو عبد الله محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي - تحقيق: د. محمد مصطفى أيدى - (332/1) - ط1422/هـ/2001م - مطبوعات جامعة أم القرى - السعودية .

جلاءهم سبب في منع تعذيبهم، فهو رحمة بهم؛ فناسب هنا ظهور الفاعل. والله أعلم. وفي مواقع أخرى تجد الفعل مبنيًا للمجهول في غير مواقع الشدة، مثل قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِنًا يَعْغِطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَّالُونَ مِنْ عُذُوٍ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121)﴾ [التوبة]، ولعل غياب الفاعل نتيجة المعرفة التامة به، فالذي يفعل ذلك من كتابة العمل الصالح وأجره هو الله تعالى، وهو ظاهر في التذييل. وقد بُني للمجهول ليدل على الإبهام، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُنَلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَأَمَى النَّسَاءَ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ [النساء: 127].

2. وقال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 87]، وقال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 93].

تجد في الآية الثانية ذكر فاعل ﴿وَطَبَعَ﴾ وهو ما لم يحدث في الآية السابقة لها، وقد علل السامرائي ذلك بعلتين الأولى سياقية، وذلك أن السياق في آية (93) أكثر شدة؛ فقد وصفهم بصفات لم يذكرها في الآية (87) ككونهم رجسًا، وكون مأواهم جنة، وأنهم يستخدمون الحلف لكي يرضوا المؤمنين، كما علق أحكامًا على سلوكهم مثل ﴿لَنْ تُؤْمِنَ﴾، و﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾، و﴿فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ﴾⁽²⁴⁾، أما العلة

تلاحظ حذف فاعل «كتب» وذكره، ورد ﴿القتال﴾ نائب فاعل للفعل ﴿كُتِبَ﴾ متأخرًا عن المتعلق ﴿عليكم﴾، في كل آيات القتال التي تشعر بالفرض والتكليف، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216]، وقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ [النساء: 77]. وهذا الأسلوب ظاهر في التعبير القرآني بمادة «كتب» في مواقع التكليف، مثل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: 178]، و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: 180]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]⁽²³⁾. وتلاحظ في التعبير القرآني بهذه المادة «كتب» أنه في مواقع النعم والتفضل يظهر الفاعل مثل قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: 187]، ويقول: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 21]، وانظر: الأنعام آية 12 و 54، والمجادلة آية 22.

إلا أن هناك آيات تتعلق بالقتال بُني فيها الفعل «كُتِبَ» للمعلوم كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ [النساء: 77]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: 51]، والتعبير كما تلاحظ حكاية عن قول آخر. كما ظهر في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21]، ولعل السبب كون السياق حديثًا عن عزة وقوة. كما ظهر في موقع الشدة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ [الحشر: 3].

ولعل السبب هنا هو كون الجلاء نعمة؛ إذ فيه إمهال لهم؛ ولذلك عبر عن المراد بصيغة الشرط، وجعل

24 - انظر (التوبة: 94 و 95).

23 - ولاحظ ذلك في المواقع التالية: في (البقرة آية: 178 و 180 و 183 و 216 و 246 ، وفي آل عمران آية 154 وفي النساء: 77).

ب . إذا كانت الصفة خاصة بجنس الموصوف...
نحو أعجبت بكاتب، أي برجل كاتب...
ج . إذا كان النعت جملة أو شبه جملة والمنعوت بعض
اسم تقدم عليه مجرور بـ(من) أو (في)...⁽²⁶⁾.

ومن مفهوم العنوانات السابقة تلاحظ أنه لا بد من وجود
الدليل على الموصوف، وهو ما أجمله الرضي بقوله:
"اعلم أن الموصوف يحذف كثيراً؛ إن علم⁽²⁷⁾. وقد
حذف الموصوف في آيات القتال، ومن ذلك قوله
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:45]، فتجد ﴿كثيراً﴾
صفة لموصوف محذوف دل عليه الأمر السابق
﴿وَاذْكُرُوا﴾، ومثله قوله تعالى: ﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ
وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا...﴾ [الحج:40].

لكن ورد في الأحزاب آية (41) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾. وحذف الموصوف
وابقاء الصفة يدل على الاهتمام بالوصف، وعند
العودة إلى سياق آيتي الأنفال والحج السابقتين تجده
حديث عن القتال، والظرف يقتضي الالتجاء إلى الله
تعالى بذكره طلباً للعون، وليس المطلوب ماهية ذلك
الذكر ونوعيته، وإنما المطلوب هو دوامه وكثرتة؛ إذ
ليس الإنسان المقاتل في صدد اختيار نوع الذكر؛
لكون الظرف لا يسمح بذلك، وهو بخلاف آية
الأحزاب؛ إذ هي في سياق الذكر وقد ورد بعدها:
﴿وَسَبِّحْهُ بِكُورَةٍ وَأَصِيلًا (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ
وَمَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ

الأخرى ففي آية (86) التي كملتها (87) قال ﴿وَإِذَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ (التوبة:86)، فحذف فاعل ﴿أُنزِلَتْ﴾،
وهو فاعل ﴿طُبِعَ﴾⁽²⁵⁾.

المبحث الثالث: ذكر المفعول وحذفه:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ
عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:58].
وقال في إتمام العهد: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا
إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُنْتَقِينَ﴾ [التوبة:4].

في آية الأنفال حذف مفعول ﴿فَانْبِذْ﴾، أي عهدهم،
بينما ذكر المفعول في آية التوبة ﴿عَهْدَهُمْ﴾، والعللة
والله العالم، أن آية الأنفال سلب واطراح، فهي في
صدد عدمية العهد بنبذه، فناسب حذفه تماشياً مع
العمق الدلالي للأمر بالنبذ. بينما آية التوبة إيجاب
ووجود، فهي تثبت العهد وتحفظه، فناسب ذكر العهد؛
ليكون السطح اللفظي، والعمق الدلالي للآية متحداً،
كنوع من التأكيد على حفظ العهد، وقد زاده تأكيد
التكميل بذكر المدة في قوله: ﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾.

المبحث الرابع: ذكر الموصوف وحذفه

من معلوم النحو جواز حذف الموصوف مع ثلاثة
شروط فصلها الدكتور إبراهيم بركات، تحت ثلاث
عنوانات هي:

"أ. إذا ذكر الموصوف بلفظه قبل الصفة..."

27 - شرح الرضي على الكافية - تصحيح وتعليق: يوسف حسن
عمر - (324/2) - 1398 هـ - 1978 م - جامعة قاريونس
- ليبيا ..

25 - انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - فاضل صالح
السامرائي - ص 78، 79 - ط2/1427هـ/2006م - شركة
العاتك للنشر - القاهرة - مصر.

26 - النحو العربي - د. إبراهيم إبراهيم بركات - (81/5) -
ط1/1428هـ - 2007م - دار النشر للجامعات - مصر.

لما كان الله هو الناصر انتفى الغالب من الناس ومن غيرهم، أما القول المنسوب إلى الشيطان فقيده الغالب بـ﴿من الناس﴾، مواعمة للحدث الكائن، وهو غزوة بدر، وانطلاقاً من معرفة الشيطان بالقدرة الإلهية على هزيمة قريش.

2. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10]. وقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126].

والفرق بين تركيب الآيتين كالتالي:

آية آل عمران	آية الأنفال
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ	وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ	وَلِتَطْمَئِنَّ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ	إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

تجد اختلاف الآيتين في ﴿لكم﴾ المذكورة في آل عمران، والتقديم في ﴿قلوبكم به﴾، و﴿به﴾ به قلوبكم، والتأكيد في التنزيل في الأنفال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، والوصف في آل عمران ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. والعلة في ذلك هي الموضوع الذي تعالجه كل آية؛ فأية آل عمران تواسي المؤمنين عما وقع بهم

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43)﴾ [الأحزاب]، فناسب التأكيد عليه، وهو ما دلّ عليه السامرائي بقوله: "ومن النظر في الآيات الواردة في ذلك [يقصد ذكر «الذكر» وحذفه] وسياقها، يظهر أنه ذكر الموصوف في سياق الذكر والعبادة دون ما لم يكن ذلك" (28). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تجد حذف الموصوف ورد في مواقع متعددة في سورة الأحزاب من مثل قوله تعالى: ﴿وَرُزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 11]، و﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38]، و﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 70].

المبحث الخامس: ذكر الصفة وحذفها:

1. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَغَىٰ فَرِيقًا مِنْكُمْ لِيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْهِمُونَ﴾ [البقرة: 190]. وفي الآية صفة ﴿مصيبية﴾ لم تذكر، بخلاف صفة ﴿فضل﴾، فقد ذكرت، وهي ﴿من الله﴾، وفي ذكر الصفة تقييد للموصوف، فالمصيبة في الحرب قد تأتي من أي جهة فاطلق ذكرها غير مقيد بصفة، بخلاف الفضل فهو من الله لا من غيره، خاصة في الحرب، إذ توضح آيات أخرى أن النصر من الله وحده.

ومثل ذلك تجده في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ [الأنفال: 48]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَنْصُرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: 160]، فالصفة ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ ذكرت في القول المنسوب للشيطان، ولم يتم وصف ﴿غَالِبَ﴾ في الآية الثانية، والسياق يبرر ذلك؛

28 - من أسرار البيان القرآني - فاضل صالح السامرائي - ص 101- ط 1430/1هـ/2009م - دار الفكر - عمان - الأردن.

بين الغائبين فقال: ﴿وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم﴾⁽³¹⁾.

المبحث السادس: الزيادة في اللفظ نتيجة الاختلاف

في الموضوع أو السياق

قد تحتوي الجملة على متمات ومكملات زائدة على الركن الأساسي للجملة، وبها تختلف جملة عن جملة أخرى تحمل نفس حكمها، إلا أن المحددات الدلالية، والسياق النصي، فرض ذلك الذكر. من ذلك:

أ. ذكر فعل:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 32]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]. وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَنْفِقُوا لِلَّهِ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]، وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 33].

ذكر الفعل ﴿وَأَطِيعُوا﴾ في آية النساء، وآية محمد، ولم يرد ذلك في آل عمران ولا الأنفال، وقد علل ابن عاشور آية النساء قائلاً: " وإثما أعيد فعل: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، مع أنّ حرف العطف يغني عن إعادته؛ إظهاراً للاهتمام بتحصيل طاعة الرسول؛ لتكون أعلى مرتبة من طاعة أولي الأمر، ولينبه على وجوب

في أحد، فكان المؤمنون هم بؤرة الحدث فذكر ﴿لَكُمْ﴾ تخصيصاً وتعييناً، وقدم قلوبكم اهتماماً بها، ثم ختم بوصف لله تعالى الذي النصر من عنده لا من عند غيره.

أما آية الأنفال فالموضوع هو معركة بدر، وما حدث فيها من إنزال الملائكة، وعلّة ذلك الإنزال؛ فقدم ﴿لَهُ﴾ العائد على إنزال الملائكة، وأخر ﴿قلوبكم﴾، ولم يذكر ﴿لكم﴾، وختم بجملة اسمية مؤكدة ﴿إن الله عزيز حكيم﴾، مناسبة للموقف.

وقد أكد على هذا فاضل السامرائي بقوله: "لما كان المقام في الأنفال مقام الانتصار وإبراز دور الإمداد الرباني قدم ﴿به﴾ على القلوب، والضمير يعود على الإمداد. ولما كان المقام في آل عمران هو الطمأنينة وتسكين القلوب قدمها على الإمداد؛ فقال: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾، وزاد كلمة ﴿لكم﴾، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ زيادة في المواساة، والمسح على القلوب فجعل كلاً في مقامه"⁽²⁹⁾. وقال الكرمانلي: قال: " ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ ههنا بإثبات ﴿لكم﴾، وتأخير ﴿به﴾، وحذف ﴿إن الله﴾، وفي الأنفال بحذف ﴿لكم﴾ وتقديم ﴿به﴾ وإثبات ﴿إن الله﴾؛ لأن البشري هنا للمخاطبين؛ فبين وقال ﴿لكم﴾، وفي الأنفال قد تقدم ﴿لكم﴾ في قوله: ﴿فاستجاب لكم﴾ فاكتفى بذلك"⁽³⁰⁾.

ويزيد الأمر وضوحاً بقوله عن مراعات الحضور والغيبة: "وقدم ﴿قلوبكم﴾ هنا وأخر ﴿به﴾ ازدواجاً بين المخاطبين فقال: ﴿وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به﴾، وقدم ﴿به﴾ في الأنفال ازدواجاً

30 - أسرار التكرار في القرآن مرجع سابق - ص 92 و93

31 - أسرار التكرار في القرآن مرجع سابق - ص 93

29 - التعبير القرآني - فاضل صالح السامرائي - ص 72 -

1427/4هـ - 2006م - دار عمار - عمان - الأردن.

وكذلك ما جاء في سورة محمد الآية (33)، فقد ورد لفظ الرسول وطاعته وعدم مشاقته فقد قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمد:32] (35)، وحين نهى عن مشاقته سابقاً ناسب تكرار فعل الطاعة تأكيداً على أهميتها.

أما تعريف (الرسول) بأل في آل عمران، وسورة محمد؛ فاقتضاه السياق؛ لأن الحديث مع أهل الكتاب الذين ذُكر لديهم هذا الرسول، وهو ما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران:81]، فالتعريف يقول أن هذا «الرسول» هو ذلك الذي ذكر في التوراة والانجيل. فهي آل «العهدية» نتيجة الذكر المسبق للأنبياء في الكتب المقدسة، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى استخدمت سورة آل عمران هذا الأسلوب بعد هذه الآية عن سيدنا عيسى عليه السلام قال تعالى عن عيسى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران:49]، ثم قال: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:53] فعرف في الثانية. أما في آية سورة محمد فلم يرد في السورة إلا معرفاً وقد ورد في موضعين هما آية (32 و33)

ب. ذكر المفعول وحذفه:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا

طاعته فيما يأمر به، ولو كان أمره غير مقترن بقرائن تبليغ الوحي» (32).

ويمكن إضافة علة أخرى، وهي حصر التشريع الواجب إطاعته في (الله ورسوله)، ولذلك جاء التكميل مشعراً بوجوب العودة إليهما حال التنازع بين الشعب والقيادة: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ إذ تنتهي طاعة ولي الأمر، إلا بحكم قضائي مستمد من الشرعية المقدسة (الله ورسوله)، ولذلك يجب أن يستقل القضاء المستمد شرعيته من الله ورسوله؛ ليكون الراعي بين الحاكم والمحكوم. أما آية سورة محمد فيعيد ابن عاشور ذكر فعل الطاعة إلى التقابل المنطقي مع الآية السابقة لها، والتي بيّنت مشاققة الكافرين للرسول عليه الصلاة والسلام، وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمد:32]، فيقول: "فوصف الإيمان في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مقابل وصف الكفر في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [محمد:32]، وطاعة الله مقابل الصد عن سبيل الله، وطاعة الرسول ضد مشاققة الرسول صلى الله عليه وسلم" (33). وورد في التعبير القرآني "والملاحظ أن ما لم يتكرر فيه لفظ الطاعة مع الرسول فالسياق فيه لله وحده، ولم يذكر فيه لفظ الرسول ولا آية إشارة إليه" (34).

أما عن الآيات التي ذكرت فيها الطاعة فيقول: "في حين كرر لفظ الطاعة في الآيات الأخرى لأن السياق يقتضيها. ففي آية النساء (59)، جعل طاعة الله وطاعة رسوله أصلية؛ ليفصل بين طاعة الرسول وطاعة أولي الأمر، فهما ليستا بنفس المنزلة...

34 - التعبير القرآني مرجع سابق - ص 153.

35 - التعبير القرآني مرجع سابق - ص 154 و155.

32 - التحرير والتنوير مرجع سابق (97/5)

33 - التحرير والتنوير مرجع سابق (127/26).

فلا يعلمهم إلا الله ورسوله إنباء عن الله تعالى. أما الآية الثانية فهي حديث عن مؤمنين خطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً؛ وقد أمروا بالعمل الصالح كما هو واضح من سياق الآية: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [التوبة:104]، وهذه الأعمال مكشوفة ظاهرة يراها الله ورسوله، ويراهم المؤمنون؛ لذلك ذكر المؤمنون هنا. ورد في درة التنزيل عن الآية الثانية: "وهذه الأعمال مما تُرى بالعين، خلاف أعمال المنافقين التي تقتضي لهم النفاق لإضمارهم خلاف إظهارهم، وهو مما لا يرى بالعين، وإنما يعلمه عالم الغيب؛ فلذلك لم يذكر المؤمنين في الأولى وذكروا في الثانية" (37).

أما بالنسبة للعطف بـ«ثم»، و«الواو» فمن المعلوم أن «ثم» تعيد العطف على التراخي، بخلاف «الواو»، وقد ناسب ذلك موقعهما في الآيتين حيث العذاب المفهوم من الوعيد مؤجل كرمياً وإمهالاً، بينما الثواب المفهوم من الوعد للمؤمنين معجل؛ فناسب عطف كل بما يستحق، وقد زاد قرب الثواب من المؤمنين دخول «السين» على الفعل المضارع في الآية الثانية «ستردون». ورد في كشف المعاني: "وأما «ثم» في الأولى: فلأنها وعيد؛ فبين أنه لكرمه لم يؤخذ هم في الدنيا، فأتى بـ«ثم» المؤذنة بالتراخي. والثانية: وعد؛ فأتى بالواو والسين المؤذنين بقرب الجزاء، والثواب، وبعد العقاب؛ فالمنافقون: يؤخر جزاؤهم عن نفاقهم إلى موتهم، فناسب «ثم»، والمؤمنون: يثابون على العمل

لَوْ تَعْفُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً...﴾ [النساء:102].

في الآية ذكر ﴿حَذْرَهُمْ﴾ مفعولاً لـ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ الثانية، ولم يُذكر مع الأولى؛ ولعل السبب هو أنك تجد فاعل الأمر في ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ الأولى الطائفة القائمة للصلاة، بينما فاعل الثانية يمكن أن يشمل الجميع المقبلين على الصلاة، والمنصرفين منها، وظرف انتقال الجندي من موقع الحراسة لعمل آخر، أو العكس، يكون فرصة لمباغثة العدو لهم، وقد حسن هذا الظرف ذكر ﴿حَذْرَهُمْ﴾، احترازاً من ذلك، ولاحظ علة ذلك في تعقيبه بقوله تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَعْفُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾، أما في الأمر الأول فلا يحتاج التركيب لذلك؛ لكون غير المصلين في مواجهة العدو، وهو المفهوم من قوله: ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ أي وطائفة تجاه العدو" (36).

ج. ذكر فاعل + حرف

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿.. قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:94]، وقال: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:105].

الفوارق في: زياد (المؤمنون + السين) في آية (105)، وعطفت بالواو بدلا من (ثم)، وبالعودة إلى السياق يلاحظ أن آية التوبة (94) لم يذكر المؤمنين؛ لأنه حديث عن المنافقين، والمنافقون كانوا يخفون أمرهم

تحقيق: د. محمد مصطفى آيدين - (727 و726/1) -
ط1422/هـ-2001م - جامعة أم القرى - السعودية.
وانظر ملاك التأويل (325327/1).

36 - غرائب التفسير وعجائب التأويل الكتاب - محمود بن حمزة الكرماني - (305/1). - دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة - مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

37 - درة التنزيل و غرة التأويل - أبو عبدالله محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (420هـ) -

عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿التوبة: 84﴾، وهذا
يفسر لماذا العطف بالفاء في الأولى، وبالواو في
الثانية؛ "لأن الفاء تتضمن معنى الجزاء، والفعل الذي
قبله مستقبل يتضمن معنى الشرط وهو قوله: ﴿وَلَا
يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
كَارِهُونَ﴾، أي إن يكن منهم ذلك فما نكر جزاؤهم؟
فكان الفاء هنا أحسن موقعا من الواو" (40).

ويرى الفارسي كما نقل عنه صاحب الدر أن التعقيب
هو علة الفاء بقوله: "وهناك بالفاء لمناسبة تعقيب
قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾، أي: للإِنْفَاقِ؛
فهم مُعْجَبُونَ بكثرة الأموال والأولادِ فنهاه عن الإِعْجَابِ
بفاء التعقيب. أما العطف بالواو فلمناسبة عطف نهْيِ
على نهْيِ قبله، في قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ، وَلَا تَقُمْ، وَلَا
تُعْجِبْ﴾؛ فناسب ذلك الواو" (41).

ومن المسلم به أن زيادة «لا» في الآية الأولى دالة
على زيادة في المعنى، والمعنى الزائد هنا هو التوكيد،
إذ أن انصباب النهي على العجب بالأولاد، كما انصب
على العجب بالأموال، فيه دلالة على تأكيد النهي
على كل جزء، وهذا ما صرح به الفارسي كما نقل عنه
الحلبي في الدر يقول: "لأنه نهْيٌ عن الإِعْجَابِ بهما
مجتمعين، وهناك بزيادة «لا»؛ لأنه نهْيٌ عن كل واحد
واحد، فَدَلَّ مجموعُ الاثنين على النهي بهما مجتمعين
ومنفردين" (42). وفيه تأكيد.

وفي ملك التأويل: "الآية الأولى مقصود فيها من
التأكيد ما لم يقصد في الثانية؛ لما قيل له عليه السلام:
﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ

الصالح في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً
طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ الآية" (38).

د. ذكر صفة + حرف

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 55]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ
أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا
وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 85].

الملاحظ في الآيتين ذكر (لا + الحياة) في آية (55)،
وعدمهما في (85). ومعنى ذلك إن آية (55) أكثر
اتساعاً من آية (85) لكون الزيادة فيها. وعند ملاحظ
الآيتين تجد فوارق أخرى هي:

. العطف بالفاء في (55)، وبالواو في (85)

. الفعل (يعذبهم) مسبوق بلام التعليل في (55)، و
ب(أن) المصدرية في (85).

وحفاظاً على السياق سأتناول هذه الفوارق الأربعة
بشكل عام.

وردت الآيتان حديثاً عن المنافقين بدلالة السياق، لكن
سياقهما يختلف "فسياق الأولى في إنفاق الأموال" (39)،
وسياق الثانية في القتال والموت، وهذا السياق يفسر
لك عدم ذكر الحياة في الآية الثانية؛ لأن القتال مظنة
الموت، والموت فقدان الحياة، وسنأتي إليه إن شاء
الله. هذا من ناحية.

من ناحية ثانية تلاحظ أن الآية الأولى في سياق إخبار
يقول قبلها: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا
يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: 54]، بينما الآية
الأخرى في سياق نهْيٍ؛ يقول تعالى قبلها: ﴿وَلَا تُصَلِّ

40 - أسرار القرآن مرجع سابق - ص 97.

41 - الدر المصون مرجع سابق - (94/6).

42 - الدر المصون مرجع سابق (94/6)

38 - كشف المعاني - ص 200/ وانظر درة التنزيل (1)

727 و728).

39 - التعبير القرآني مرجع سابق - ص 267

وفي التعليل الكائن في الأولى زيادة تأكيد، ودخول اللام يزيدنها توكيدًا بخلاف التراخي المستفاد من «أن» في الثانية، ورد في ملاك التأويل: "مناسب لما في الآية من التأكيد؛ إذ لا تقتضى تراخيًا؛ فناسب هذا ما ذكر من التأكيد. أما قوله في الآية الثانية: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، فيقتضى أن التأكيد لما لم يبلغ في هذه الثانية مبلغ الأولى بما تقدم فيها، أشعرت «أن» بما فيها من التراخي ف«أن» هذه ليست من التأكيد في نمط الأولى" (46).

ومفعول الإرادة هنا أثر على السياق البعدي له؛ ففي الآية الأولى لما كان المفعول هو التمكين لهم من الأموال والأولاد، وهو مظنة حياة، ناسب ذكر ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متعلقًا لـ ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، وحينما كان المفعول هو العذاب في الآية الأخرى، وهو ضد الحياة ناسب حذف الصفة، وبقاء الموصوف، هذا بالإضافة إلى ما يراه السامرائي من تأثير السياق القَبلي للآيتين على ذكر الحياة، إذ يقول: "ولما كان المال عصب الحياة [يقصد ذكره في الآيات التي سبقت آية (55) وهو حديث عن المال والصدقات] عصب الحياة كما يقال، ومظنة الوصول إلى الرفاهية، والسعادة؛ زاد كلمة ﴿الْحَيَاةِ﴾ ههنا، بخلاف الآية الأخرى فإنها في سياق الجهاد والقتال، والقتال والجهاد مظنة القتل وفقد الحياة؛ ولذا لم يأت بالحياة في سياق الجهاد، بخلاف سياق المال" (47).

هـ. ذكر حرف + اسم موصول + جار ومجرور

وَبِرَسُولِهِ ﴿التوبة: 54﴾، وذكر له من قبح مرتكباتهم أشنعها؛ أكد نهيه عليه السلام عن أن يلتفت إليهم؛ تنزيهاً لقدره العلى عن الصغو إلى ما حاصله إملاء، ولأهله في الحقيقة استدراج وعناء؛ فدخلت «لا» النافية تأكيدًا يناسب هذا القصد، ولما لم يكن في الآية الأخرى اشتراط وجزاء يقتضى التأكيد فلم تخل «لا»؛ فجاء كل على ما يجب ويناسب" (43).

وقال الكرمانى: " قوله ﴿وَلَا أَوْلَادَهُمْ﴾ بزيادة «لا»، وقال في الأخرى ﴿وَأَوْلَادَهُمْ﴾ بغير «لا»؛ لأنه لما أكد الكلام الأول بالإيجاب بعد النفي وهو الغاية، وعلق الثاني بالأول تعليق الجزاء بالشرط؛ اقتضى الكلام الثاني من التوكيد ما اقتضاه الأول؛ فأكد معنى النهي بتكرار لا في المعطوف" (44). زيادة هذا التأكيد فيه تشديد على النهي، وقد ظهر هذا التشديد في العلة من تمكين المنافقين من الأموال والأولاد، وهي قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، وقوله في الثانية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، فأنت تلاحظ أن الفعل في الأولى مسبوق باللام، والثانية مسبوق بـ«أن» المصدرية، وأنت ترى أن مفعول الإرادة في الأولى دل عليه السياق، وهو ذلك التمكين من الأموال والأولاد، وفي الثاني هو المصدر المنسبك من «أن» + يعذبهم»، وهو ما أشار إليه صاحب الأسرار في أحد قوليه يقول: "المفعول في هذه الآية محذوف، أي أن يزيد في نعمائهم بالأموال والأولاد؛ ليعذبهم بها في الحياة الدنيا، والآية الأخرى إخبار عن قوم ماتوا على الكفر؛ فتعلقت الإرادة بما هم فيه؛ وهو العذاب" (45).

46 - ملاك التأويل مرجع سابق - (596/1)

47 - التعبير القرآني مرجع سابق - ص 267

43 - ملاك التأويل مرجع سابق (593-596)

44 - أسرار القرآن مرجع سابق - ص 97 و 98

45 - أسرار القرآن مرجع سابق - ص 136 / وانظر الدر

المصون مرجع سابق (67/6 و 68)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 75]. وقال في التوبة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: 20]. ونلاحظ في الآيات السابقة ما يلي:

قال في البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 218]. وقال في الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 72].

البقرة (218)	الأنفال (72)	الأنفال (74)	الأنفال (75)	التوبة (20)	ملاحظات
إِنَّ	إِنَّ				مستأنفة
الَّذِينَ	الَّذِينَ	وَالَّذِينَ	وَالَّذِينَ	الَّذِينَ	الأنفال متصلة عبر الواو + التوبة بيانية للتفريق بين المشركين والمؤمنين
آمَنُوا	آمَنُوا	آمَنُوا	آمَنُوا مِنْ بَعْدُ	آمَنُوا	تقييد في الأنفال
وَالَّذِينَ	-	-	-	-	زاد الاسم الموصول
هَاجَرُوا	وَهَاجَرُوا	وَهَاجَرُوا	وَهَاجَرُوا	وَهَاجَرُوا	
وَجَاهَدُوا	وَجَاهَدُوا	وَجَاهَدُوا	وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ	وَجَاهَدُوا	تقييد في الأنفال
-	بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ	-	-	-	ذكرت آلة الجهاد في آية في الأنفال + التوبة
فِي سَبِيلِ اللَّهِ	فِي سَبِيلِ اللَّهِ	فِي سَبِيلِ اللَّهِ	-	فِي سَبِيلِ اللَّهِ	غاب ذكر علة القتال في آية في الأنفال
				بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ	زاد آلة الجهاد

المؤمنين الذين لم يهاجروا؛ إذ يمكن أن يكونوا مجاهدين بغيرهما كالجهاد بالكلمة، وتلاوة الآيات، كما كان الأمر في بداية الدعوة المحمدية، ﴿فَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52].

هذه المقارنة نجدتها أيضًا في آية سورة التوبة؛ إذ هي في معرض المقارنة بين المشركين الذين يعتبرون سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام مؤهلات للقيام على عمران البيت الحرام، تضاهي الإيمان بالله تعالى في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَاهُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 19]؛ فناسب تعداد الميز التي أهلت المؤمنين لعمارة مساجد الله.

المبحث السابع: اختلاف التركيب ذكرًا وحذفًا

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: 17].

وقال تعالى: ﴿... وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَبِمَتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 217]. في الآيتين السابقتين تجد أن الإشارة في آية التوبة إلى الكافرين أصلاً، وفي آية البقرة إلى المرتد عن دينه، وقد اتحد الحكم عليهما في إحباط العمل والحكم بالنار. لكن تجد ذكرًا في آية البقرة لا يوجد مثله في آية التوبة؛ والفرق بين الآيتين في التالي:

يشير أبو السعود إلى أن سبب تكرار الموصول في آية البقرة هو: " لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء" (48)، وهذا ما أكد عليه ابن عاشور بقوله: " وكرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء" (49).

وهناك سبب آخر هو: كون هذه الآية خاتمة نص بيّن فيه فرض القتال على المؤمنين، وذكر في سياق ذلك الفرض أن كتب القتال عليهم أمر مكروه ﴿وهو كره لكم﴾ [البقرة: 216]، فناسب اهتماما بالقتال التأكيد بإن، وتكرار الموصول حتى كأن الهجرة والجهاد أمر قائم بذاته في موازة الإيمان. أما بالنسبة لذكر آلة الجهاد (بأموالهم وأنفسهم) في آية (72) في الأنفال وآية (20) في التوبة، فالعلة -والله العالم- أن آية الأنفال سبقها حديث عن الرغبة في المال من مثل ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾، و﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾، و﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾؛ فناسب ذكر التضحية بالمال والنفس هنا.

وقد اختلف سياق تلك الآيات عن الآيتين التاليتين لها (74 و75)، وكان للسياق هذا أثر في ذكر الجار والمجرور «بأموالهم وأنفسهم» فيها، وعدم ذكره فيهما؛ وذلك لأن موضوع آية (72) حديث عن ولاية المؤمنين لبعضهم «المهاجرين والأنصار»، ومقارنة بين المؤمنين المهاجرين والمؤمنين غير المهاجرين، والمقارنة تقتضي تعدد مواقع الخلاف زيادة في التبيين؛ لتعليل تأسيس الأحكام المترتبة على نقاط الاختلاف بين المنتسبين للإيمان؛ فكان ذكر آلة الجهاد «بأموالهم وأنفسهم» زيادة بيان؛ امتازوا به عن

49 - التحرير والتنوير مرجع سابق (337/2)

48 - تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - (218/1) - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

أن الآية الأولى تعليل لنفي المغفرة بعد حدوث فعل الاستغفار من النبي عليه الصلاة والسلام، والموقف هنا بحاجة إلى تأكيد للسبب المانع من المغفرة بعد ذلك استغفار النبي مع كونه مستجاب الدعاء. بينما قوله في الآية الثانية: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، تعليل لنهي عن فعل؛ فالفعل لم يحدث، بينما الآية الأولى تعليل لحكم مرتبط بحدوث فعل، وهو ما بينه الشرط ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ﴾.

المبحث التاسع: ذكر المتعلق وحذفه

1. ذكر المتعلق (به: ضمير في محل جر عائد على مذكور) وحذفه

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: 120]. وقال: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 121].

الجار والمجرور «به» متعلقاً بـ﴿كُتِبَ﴾، ذكر في الآية الأولى، ولم يذكر في الآية الثانية، والباء في «به» تفيد السببية، ويكون المعنى: «كتب لهم بسببه عمل صالح»، وهذا يعني أنه ليس العمل الصالح، ولكنه مسبب له. وفي الآية غلبت الأعمال الإرادية: «الظمأ، والنصب، والمخمصة» باعتبارها مسببة لكتابة العمل الصالح، على الأعمال الإرادية وهي: «وطء المواضع المغيظة للكفار، والنيل من العدو»، التي هي عمل صالح؛ ليكون التعبير منطقيًا بعيداً عن

أ. ذكر في آية البقرة زمن الإحباط: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، وفي ذكره تأكيد على عدم النفع المحتمل من إيمانهم السابق.

ب. تكرر المبتدأ ﴿أُولَئِكَ﴾ في موقعين في آية البقرة، وفي آية التوبة مرة.

ج. ظهر المحكوم عليه في آية البقرة المضاف: ﴿أَصْحَابُ﴾، وهو ما لم يحدث في آية التوبة، وفي الإضافة إشعار بشدة استحقاقهم لها.

د. تمت الإحالة إليهم عبر الضمير في آية البقرة في خمسة مواقع كالتالي: ﴿فَأُولَئِكَ . أَعْمَالُهُمْ . وَأُولَئِكَ . هُمْ . خَالِدُونَ﴾، بينما في آية التوبة في أربعة كالتالي: ﴿أُولَئِكَ . أَعْمَالُهُمْ . هُمْ . خَالِدُونَ﴾.

هـ. ذكرت النار في آية البقرة في موقعين: الأول اسم ظاهر ﴿النَّارِ﴾، والثاني ضمير مجرور في ﴿فِيهَا﴾، وفي آية التوبة مرة اسم ظاهر ﴿النَّارِ﴾.

هذا الزيادة في آية البقرة تضارع حال المحكوم عليه في الواقع، وهو المرتد؛ إذ مارس الكفر مرتين؛ ونتيجة لذلك كان التشديد عليه أكثر من الكافر أصلاً، هذا بالإضافة إلى أنه "رتب إحباط الأعمال على مجموع أمرين الارتداد والموت على الكفر" (50).

المبحث الثامن: ذكر الإشارة وحذفها

قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 80].

وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 84].

الآية الأولى مؤكدة بـ﴿ذَلِكَ﴾ + الباء في ﴿بِأَنَّهُمْ﴾، وهو ما لم يحدث في الآية الثانية؛ والعلة -والله العالم-

50 - التحرير والتنوير مرجع سابق (333/2)

والملاحظ أن الموقع الثالث عام؛ لتقرير الفارق بين المجاهد، والقاعد؛ سواء كان الجهاد بالنفس أو بالمال، أو بكليهما.

3. ذكر المتعلق (على القتال) وحذفه

قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 84].
وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...﴾ [الأنفال: 65].

"الْحَرَضُ، وهو المُشْرِفُ على الهلاك، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ (يوسف: 85). ويقال حَرَضْتُ فلاناً على كذا. زعم ناسٌ أن هذا من الباب. قال أبو إسحاق البصريُّ الرَّجَّاج: وذلك أنه إذا خالف فقد أفسد. وقوله تعالى: ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (الأنفال: 65)، لأنهم إذا خالفوه فقد أهلكوا." (54). في حين يرى الرازي أن التحريض على القتال "الحث والإحماء عليه" (55). وقد ورد هذا الأمر في صورتين:

الأولى: ذكر فيها المتعلق ﴿على القتال﴾.

الثانية: لم يذكر المتعلق.

وفي الصورتين الفاعل هو النبي عليه الصلاة والسلام، والمفعول هو المؤمنون في حينه. وهذا يدل على وجوب وجود قيادة في فعل القتال. وقد ترتب على الاختلاف في الظرف الزمني للأمر، الاختلاف في الصيغة التركيبية للجملة، ففي آية الأنفال يعيش النبي والمؤمنون الحدث، فالمعركة قائمة والقتال حاضر؛ ولذلك ذكر المتعلق على القتال، وعرف القتال بـ«أل»

الاعتراض، وإلا اعتبر الجوع والظماً عملاً صالحاً؛ وليس كذلك؛ فناسب هنا ذكر «به».

بينما في الآية الثانية اشتملت على عمل صالح بذاته، وهو: «النفقة»، وبذل الجهد في قطع الأودية جهاداً في سبيل الله»، وقد كتبت هو، قال الكرمانى: "لأن الآية الأولى مُشتملة على ما هو من عملهم وهو قوله: ﴿وَلَا يَطُورُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يِنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا﴾، وعلى ما ليس من عملهم وهو «الظماً، والتَّصَبُّ، والمخمصة»، والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بفضله أجرى ذلك مجرى عملهم في الثَّوَابِ فَقَالَ: ﴿إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٍ صَالِحٍ﴾، أي جزاء عمل صالح. والثانية مُشتملة على المشاق، وقطع المسافات فكتب لهم ذلك بعينه" (51).

وجاء التذييل مناسباً لهذا المعنى الدقيق فقال في الأولى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فألحق ما ليس من عملهم بما هو من عملهم، ثم جازاهم على الكُل أحسن الجزاء" (52)، وقال في الثانية ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ لأن "الكُل من عملهم فَوَعَدَهُمْ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ عَلَيْهِ" (53).

2. ذكر المتعلق «بأموالهم وأنفسهم» وحذفه

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95].

ذكر المتعلق ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ في موضعين، ولم يذكر في الموضع الثالث، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾،

51 - أسرار التكرار في القرآن مرجع سابق(138/1)، وانظر درة التنزيل مرجع سابق(732-729/1)، والتعبير القرآني مرجع سابق - ص119.

52 - أسرار التكرار في القرآن مرجع سابق(138/1).

53 - أسرار التكرار في القرآن مرجع سابق (138/1).

54 - معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - المحقق: عبد السلام محمد هارون - (42/2) - دار الفكر - الطبعة: 1399 هـ - 1979 م.

(55) - مختار الصحاح - للإمام محمد بن أبي بكر الرازي - ص 167 ط4/1418 هـ - 1998 م - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .

بعدم المتعلق المخصص؛ ليتسع أفق المقول له: إما طلباً كالرسول، أو وسيلة كالصحابية؛ فهم يطرقون كل باب من أجل السماح لهم بذلك.

5. ذكر المتعلق «منكم» وحذفه

يقول تعالى في سورة التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: 23].

ويقول في سورة الممتحنة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 9].

في الممتحنة لم يذكر «منكم»، وذكره في آية التوبة؛ وهو متعلق بمحذوف حال، وبالعودة إلى آية التوبة تجد أن النهي عن التولي في آية التوبة نهبي عن تولي أقرباء وأرحام ﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾؛ فلما كان النهي عن تولي معينين جعل المتولي معيناً، فخصه بـ(منكم)، وهو ما لا تجده في آية الممتحنة، إذ الممتحنة تنهي عن تولي المعتدين بشكل عام ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾، ثم أطلق هذا التولي بعدم ذكر المتعلق؛ ليشمل كل من يتولاهم سواء من المؤمنين أو غيرهم، وهذا ما أشار إليه البقاعي بقوله: "وأطلق ولم يقيد بـ«منكم»؛ ليعم المهاجرين وغيرهم والمؤمنين وغيرهم" (57).

ثم إن السياق في التوبة يركز على المؤمنين، ورد قبل هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا

العهدية؛ لكونه حاضرًا معروفًا فالتعريف في «القتال» للعهد، وهو القتال الذي يعرفونه" (56). أما آية النساء فهي أمر عام بالقتال في سبيل الله لكف المعتدين، وقد تم الاستغناء عن المتعلق فيها لدلالة ما سبق عليه، فقولته ﴿فقاتل في سبيل الله﴾ يدل على أن متعلق التحريض القتال في سبيل الله. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى حذفت المتعلق يشير إلى فتح أفق التحريض لتهيئة المؤمنين للقتال في سبيل الله، ففي الأنفال الحرب قائمة والمعركة التي هي معركة بدر حاضرة، والقائد حينها يجب أن يصرف هم جنوده لممارسة القتال في المعركة، إذ لا وقت لغير ذلك؛ فذكر المتعلق هناك مناسب للمقام، بينما في سورة النساء المعركة لم تبدأ بعد، ولذلك يمكن التحريض على أشياء كثيرة من أجل إعداد المؤمنين للقتال، كأعداد النفس أو المال أو السلاح أو ما شاكل ذلك مما يساعد على القتال في سبيل الله؛ فناسب فيه فتح الأفق بحذف المتعلق.

4. ذكر المتعلق «لك» وحذفه

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: 11]. وقال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ [الفتح: 15].

ورد ﴿لَكَ﴾ في الآية الأولى متعلق بـ﴿سَيَقُولُ﴾ تخصيصاً للمقول له، ولم يذكر مثله في الثانية؛ لكون الطلب في الأولى هو الاستغفار، فهم يخصصون القول للشخص المناسب للحدث؛ وهو النبي. بينما في الثانية الطلب هو الاتباع في الانطلاق للمغانم، وعملية التثبيت من أجل الحصول على المال انفتحت

(56) - التحرير والتنوير مرجع سابق (66/10)

57 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي - تحقيق: عبد الرزاق

إلا أن أبا جعفر الغرناطي يرى أن الفك والإدغام فصيحان؛ يقول متحدثاً عن تلك الآيات: «مع أن الفك والإدغام فصيحان»⁽⁵⁹⁾، ولذلك فهو يرى أن هناك علة في الفك والإدغام، وهي علة سياقية يقول: «الإدغام تخفيف وليس بالأصل؛ فورد في النساء على الأصل، ولم يقترن به ما يستدعي تخفيفه، ولا سؤال في ذلك، ولما تقدم في سورة الحشر قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وتقدم الماضي مُدغماً، ولم يسمع في الماضي إلا تلك اللغة؛ فجاء بما حمل عليه من قوله: ﴿وَمَنْ يَشَاقِ اللَّهَ﴾ مدغماً؛ ليحصل مجيء الإدغام قبله في الماضي من قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾»⁽⁶⁰⁾.

أما بالنسبة لآية الأنفال فالتعدد بالعطف «اللهم ورسوله» ناسبه فك الإدغام. ويرى الفيروز أبادي في البصائر أن العلة هي الحركة اللازمة بعد الحرف الساكن؛ يقول عند مناقشته لتلك الآيات: «لأنَّ الثاني من المثليين إذا تحرَّك بحركة لازمة وجب إدغام الأوَّل في الثاني؛... والألف واللام في «اللهم» لازمتان، فصارت حركة القاف لازمة، وليس الألف واللام في الرسول كذلك»⁽⁶¹⁾. غير أنه ورد مفكوكاً في آية الأنفال وبعده «اللهم»، وقد علل ذلك بالعطف بالواو قائلاً: «وأماً في الأنفال فلانضمام «الرسول» إليه في العطف لم يدغم؛ لأنَّ التقدير في القاف أن قد اتَّصل بهما؛ فإنَّ الواو يوجب ذلك»⁽⁶²⁾ وهو بعيد؛ إذ كيف يؤثر عطف «الرسول» على حركة القاف. لكنه مناسب لقوله

المؤمنين وَلِيَجْزِيَ ﴿التوبة:16﴾، وورد بعدها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [التوبة:10]، فالخطاب خاص، فناسب التخصيص بـ«منكم».

العاشر: ذكر حرف أو حذفه

1. القاف + الدال

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:4]، وفي الأنفال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:13]، وفي التوبة ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:63]، وفي النساء: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:115].

في هذه الآيات الكريمة تجد كلمة يشاق كيف انفك الإدغام في آية الأنفال والنساء والتوبة، ولم ينفك في الحشر. يرى صاحب الكليات أنه: «قد جوز الإدغام والإظهار في الأمر الواحد... وكذلك في المجزوم كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾، ﴿وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾، ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ اللَّهَ﴾، وفيما عدا هذه المواطن المذكورة لا يجوز إبراز التضعيف إلا في ضرورة الشعر»⁽⁵⁸⁾.

58 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - أبو

البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي

(1094هـ). المحقق: عدنان درويش - محمد المصري -

ص 79 و80 - ط2 / 1419 هـ / 1998م - مؤسسة الرسالة -

بيروت. وانظر درة الغواص في أوام الخواص - القاسم

بن علي الحريري (516هـ) - تحقيق: عرفات مطرجي -

ص 101 و102 - ط1 / 1418 هـ / 1998م - مؤسسة الكتب

الثقافية - بيروت.

59 - ملاك التأويل مرجع سابق (353/1).

60 - ملاك التأويل مرجع سابق (353/1).

61 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين

محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (817هـ) - تحقيق: محمد

علي النجار - (175/1) - المكتبة العلمية - بيروت - لبنان

/ وانظر غرائب التفسير مرجع سابق (307/1).

62 - بصائر ذوي التمييز مرجع سابق (175/1).

تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ [النساء: 115].

2. حرف التاء:

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ [الأنفال: 26].

الخطف "هو استلابٌ في خفة" (63)، وتلاحظ في الفعل ﴿يَتَخَطَّفَكُمُ﴾ زيادة «تاء»، وتضعيف «للطاء» على أصل الفعل «خطف»، أي زادت التاء على صيغة «فعل»، وقد ورد في التاج: «والتشديد أبلغ لأنه للتكثير» (64)، وفي المخصص: «وقد يستعمل «نزل» في معنى التكثير» (65)، وبالإضافة إلى التضعيف زاد حرف «التاء»، وهذا يعني أن الدلالة في ﴿يَتَخَطَّفَكُمُ﴾، تعني التكثير؛ ولذلك عمم المعادين لهم بـ﴿النَّاسُ﴾، بالرغم من كونهم محدودين في قريش؛ إلا أن المبالغة والتكثير اقتضى ذلك.

وهذه التاء غابت عن الفعل ﴿تَوَلَّوْا﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 20]. وهذا الحذف مناسب لسياق الحدث كما يقول السامرائي، وهو يقارن بينها وبين قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52]، إذ تولى المؤمنين عن الرسول عليه الصلاة والسلام قليل؛ فلذلك قل لفظ الفعل، بينما الحديث في سورة هود عن غير المؤمنين والتولي منهم أكثر (66). وهو ما لاحظته أيضًا في قوله

تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّ عَوْنَ إِلَىٰ قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: 16)، حيث يقول: " ﴿تَتَوَلَّوْا﴾ بيايين ذلك أن هؤلاء الأعراب لم يكونوا ممن تمكن الإيمان في قلوبهم، وأن تخلفهم كان تخلف نفاق بدليل ما قبلها من الآيات" (67).

3. حرف الدال:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥)﴾ [آل عمران: 124-125].

ورد في اليتين السابقتين ﴿يُمِدُّكُمْ﴾، و﴿يُمِدِّكُمْ﴾، في الأول إدغام للدال، وفي الثاني فكٌ لذلك الإدغام، ومن الملاحظ أن الثاني مجزومًا، وهو ما أشار إليه أبو البقاء بجواز الفك والإدغام كما عرفنا سابقًا، ولعل العلة في هذا الفك هو تمديد الفعل؛ ليناسب السياق، فلما كان الخمسة آلاف أكثر من ثلاثة آلاف، ناسب أن يكون الفعل مع الخمسة أكثر اتساعًا من الفعل مع الثلاثة.

63 - مقاييس اللغة مرجع سابق (196/2).

64 - تاج العروس من جواهر القاموس - محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الرّبّيدي - تحقيق عبد الكريم العزبائي (373/6) - ط1/1421 هـ - 2000م - المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت.

65 - المخصص في اللغة - أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده - تحقيق:

خليل إبراهيم جفال - (306/4) - ط1/1417 هـ/1996م - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

66 - انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - مرجع سابق - ص 14 و 15.

67 - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني - مرجع سابق - ص 15.

الخاتمة

من نتائج مبحث الذكر والحذف:

أولاً: التوكيد

ورد الذكر زيادة في تأكيد القضية التي تحدثت عنها الآية، مثل التأكيد على الالتزام بمولاة المؤمنين، والتي تُفهم عدم مولاة الذين كفروا، (الأنفال:72) (68).

ثانياً: الحشد الفني

وقد يأتي الذكر حشداً فنياً للجملة زيادة في التأكيد على الدلالة كما هو في آية آل عمران (141).

ثالثاً: التثبيت والبيان

وورد الذكر للتثبيت والبيان في آية الحج (62)، كما دل على التعظيم والبيان في (البقرة:218)، و(الأنفال:72)، و(التوبة:20).

رابعاً: مواءمة واقع الحدث

وجاء الذكر والحذف تماشياً مع الواقع الفعلي للحدث كما في آية الحديد (40)، وآية الحج (25)، آية النساء (102)، كما ناسب حال المحكوم عليه في آية البقرة (217).

خامساً: الدلالة على حكم

ساعد الذكر والحذف على الدلالة على الأمر أو النهي الكامن خلاف منطوق النص، كالأمر المفهوم من آية سورة محمد (38)، والنساء (109)، أو النهي المفهوم من آيتي آل عمران (66 و119).

سادساً: افادة العموم والخصوص:

وقد دل الذكر والحذف على العموم والخصوص كما في آية الأنفال (10 و72)، وآيتي النساء (72 و73)، وآية التوبة (23).

سابعاً: مواءمة البنية السطحية والعميقة للآية

ودلالة على العمق الدلالي للجملة كان للذكر والحذف دوره في ذلك كما في آية الأنفال (85)، وآية التوبة (4).

ثامناً: سبب الحكم

كما أفاد الذكر والحذف إبراز التباين وتعليل الحكم كما في آية النساء (59)، وفي آيتي التوبة (120 و121).

تاسعاً: التكرار:

وأفاد الذكر التكرار والمبالغة كما في آية آل عمران (124 و125)، والأنفال (26).

قائمة المصادر والمراجع

- [1] الكرمانى، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة . أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان . تحقيق: عبد القادر أحمد عطا . 1977م . دار الفضيلة . القاهرة . مصر .
- [2] الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (817هـ). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . تحقيق: محمد علي النجار . المكتبة العلمية . بيروت . لبنان / وانظر غرائب التفسير مرجع سابق (307/1).
- [3] السامرائي، فاضل صالح . بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . ط2/1427هـ/2006م . شركة العاتك للنشر . القاهرة - مصر .
- [4] الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض . تاج العروس من جواهر القاموس . تحقيق عبد الكريم العزباوي . ط1/ 1421 هـ . 2000م . المجلس الوطني للثقافة والفنون . الكويت .
- [5] ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر . التحرير والتنوير . . 1997 م . دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس .
- [6] السامرائي، فاضل صالح . التعبير القرآني . ط4/1427هـ/2006م . دار عمار . عمان . الأردن .

- [7] السامرائي ، فاضل صالح . التعبير القرآني . 4/1427هـ/2006م . دار عمار . عمان . الأردن .
- [8] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- [9] أبو بكر القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن تفسير القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . المحقق: هشام سمير البخاري . 1423هـ/2003م . دار عالم الكتب . الرياض . المملكة العربية السعودية .
- [10] السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط . دار القلم . دمشق .
- [11] الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني . درة التنزيل و غرة التأويل . تحقيق: د.محمد مصطفى أيدين . ط1/1422هـ/2001م . مطبوعات جامعة أم القرى . السعودية .
- [12] الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني . درة التنزيل و غرة التأويل . تحقيق: د. محمد مصطفى أيدين . ط1/1422هـ/2001م . جامعة أم القرى . السعودية . وانظر ملاك التأويل (1/325327).
- [13] الحريري ، القاسم بن علي . درة الغواص في أوام الخواص . . تحقيق: عرفات مطرجي . ط1/1418هـ/1998م . مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت .
- [14] هيفاء عثمان . زيادة الحروف بين التأييد والمنع . ط1/2000/ دار القاهرة . مصر .
- [15] الرضي الأسترآبادي، محمد بن الحسن . شرح الرضي على الكافية . تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر . 1398 هـ - 1978 م . جامعة قارونس . ليبيا . .
- [16] السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان . شرح كتاب سيويه . تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي . ط1/1429هـ/2008م . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- [17] الكُرْمَانِي، محمود بن حمزة . غرائب التفسير وعجائب التأويل الكتاب . دار القبله للثقافة الإسلامية - جدة . مؤسسة علوم القرآن - بيروت .
- [18] سيد قطب . في ظلال القرآن . ط32/ 1423 هـ /2003م . دار الشروق . القاهرة .
- [19] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر . الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل . . تحقيق: عبد الرزاق المهدي . ط1/2003م . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- [20] أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي . الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية . (1094هـ). المحقق: عدنان درويش - محمد المصري . ط2/ 1419هـ/1998م . مؤسسة الرسالة - بيروت .
- [21] الرازي ، الإمام محمد بن أبي بكر . مختار الصحاح . . ط4/ 1418 هـ . 1998 م . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت .
- [22] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف . المخصص في اللغة . تحقيق: خليل إبراهيم جفال . ط1/1417هـ/1996م . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- [23] السامرائي ، فاضل صالح . معاني النحو . ط2/ 1423 هـ . 2003م . العاتك لصناعة الكتاب . القاهرة .
- [24] أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا . معجم مقاييس اللغة . المحقق: عبد السلام محمد هارون . دار الفكر . الطبعة : 1399 هـ - 1979م .
- [25] ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد . مغني اللبيب عن كتب الأعراب . تحقيق: د. عبداللطيف محمد الخطيب . السلسلة التراثية (21) . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت .
- [26] ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد . مغني اللبيب مغني اللبيب عن كتب الأعراب . تحقيق: د. عبداللطيف محمد الخطيب . السلسلة التراثية (21) . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت .

- [27]المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد . المقتضب . تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة . ط2/1415. 1994م . وزارة الأوقاف . لجنة إحياء التراث . القاهرة.
- [28]الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم . ملاك التأويل القاطع بزوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل . تحقيق: سعيد الفلاح . ط1/1403هـ/1983م . دار الغرب الإسلامي . بيروت .
- [29]السامرائي ، فاضل صالح . من أسرار البيان القرآني . ط1/1430هـ/2009م . دار الفكر . عمان . الأردن.
- [30]إبراهيم إبراهيم بركات . النحو العربي . د ط1/1428هـ . 2007م . دار النشر للجامعات . مصر.
- [31]النباعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي . 1415هـ - 1995م . دار الكتب العلمية - بيروت.